مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2709-0302 (online)
ISSN: 2617-5908 (print)

دور القدوات التافهة في تعميق الانحراف الخُلقي والفكري في المجتمع (دراسة وصفية تحليلية)(*)

الباحثة/ مريمه عبد الله محمد الحاج
ماجستير في التفسير وعلوم القرآن
جامعة بدر العالمية أرض الصومال

*) تاريخ تسليم البحث 25/8/2025 تاريخ قبوله للنشر 7/10/2025
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

دور القدوات التافهة في تعميق الانحراف الخُلقي والفكري في المجتمع (دراسة وصفية تحليلية)

الباحثة/ مريمه عبد الله محمد الحاج
ماجستير في التفسير وعلوم القرآن
جامعة بدر العالمية أرض الصومال

الملخص

من الوسائل المؤثرة في تربية الشباب هي التربية بالقدوة، فالأطفال خاصة والشباب عامة يتأثرون بما يسمعون من أقوال، وبما يشاهدون من سلوكيات سواء النافع منها أو الضار، فإذا رأى هؤلاء الشباب بعض الشخصيات التافهة المنحرفة يتصدرون مراكز القيادة والتأثير والإعلام بشكل مباشر، أو من وسائل التواصل الاجتماعي، فإن ذلك يفتح أمامهم أبواب الانحراف في السلوك والاضطراب على مستوى السلوك والأخلاق، ويعطي فرصة أكبر لوقوعهم في أخطاء، ومواقف يصعب معالجتها وانتشالهم منها، فالنشءُ والشباب في حاجة ضرورية لرؤية نماذج تتحلى بالقيم والأخلاق الفاضلة، يتعاملون معهم بالأخلاق الحسنة، فيرغبونهم في الاستقامة، ويصلحون ما فسد من أخلاق ويقومون ما اعوج من سلوك، ومن ثم دعت الضرورة لدراسة تأثير هذه القدوات التافهة السيئة التي تسعى دائمًا لهدم القيم والأخلاق في نفوس الأطفال والأجيال الصاعدة، فهي من العوامل السيئة الضارة التي لها تأثير خطير على الفرد والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: القدوة، التافه، الانحراف.

The Role of Superficial Role Models in Deepening Moral and Intellectual Deviation in Society (Descriptive and Analytical Study)

Maryama Abdullah Muhammad Al-Hajj
MA in Interpretation and Quranic Sciences
Badr International University - Somaliland

Abstract

One of the most effective means of raising youth is education by example. Children، especially young people، are influenced by what they hear and by the behaviors they witness، both beneficial and harmful. If thes youth see some trivial، deviant role models prominently in the media or on social media، this opens the doors to deviance and disorder، and provides a greater opportunity for them to fall into errors and engage in behaviors that are difficult to address and rescue. Young people and adolescents urgently need to see models who embody virtuous values and morals، who treat them with good morals، who encourage them to be righteous، who correct corrupt morals، and who correct crooked behaviors. Consequently، these trivial، bad role models always seek to undermine values and morals in the souls of children and rising generations. They are harmful and detrimental factors that have a profound and dangerous impact on individuals and society.

Keywords: role model, triviality, deviance.

مقدمة البحث:

الحمد لله رب العالمين، القائل جل جلاله ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [سورة الممتحنة:٦]، والصلاة والسلام على من بعثه ربه هاديًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين، وبعد:

فإن شخصية القدوة ذات التأثير تَعُدُّ نموذجًا للاقتداء على مستوى السلوكيات أو الأفكار، فهي النموذج العملي التي تجسد أنماط التفكير وأشكال السلوك، كما أنها من أهم وسائل استمالة العقول واستثارتها.

أما في المعيار الديني، فإن القدوة تمثل ضرورة حتمية؛ حيث ارتبطت الرسالات السماوية كلها بمبدأ القدوة الحسنة، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [سورة الأحزاب: ٢١]، مما يجعلها جزءًا أصيلًا في البناء الإيماني والتربوي للأمة، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [سورة الأنعام: ٩٠]، قال الإمام الرازي: "المراد الاقتداء بهم (أي بالأنبياء) في جميع الأخلاق الحميدة والصفات الرفيعة الكاملة" (الرازي ف.، ١٤٢٠ هـ، صفحة ٥٦)، ولهذا فإن اتخاذ القدوة هو أمر فطري لدى الإنسان، حيث ينبغي أن تكون القدوة على خلق ودين، يستقي منها الإنسان فطرته، ويستلهم منها طريق الخير وسبيل الصلاح، فإذا كانت القدوات الفاسدة في مكان الصدارة فقد تساهم بالقضاء على الثوابت الدينية والخلقية والاجتماعية، وترسّخ مظاهر الانحراف، مما ينعكس سلبًا على عقول النشء وسلوكهم، ويشكل خطرًا كبيرًا يهدد قيم المجتمع قاطبة، خاصة فيما يُبث عبر وسائل الإعلام المختلفة، في ظل التطور التكنلوجي الهائل، والتحول الرقمي السريع، والتداخل الثقافي والاجتماعي بين الشعوب والأمم، مما سهل ظهور كثير من النماذج السيئة التي اكتسبت شهرة واسعة، وتأثيرًا كبيرًا، وقد لعبت هذه الظواهر الشاذة دورًا بارزًا في زعزعة منظومة القيم الأخلاقية والفكرية لدى الأجيال الصاعدة، حيث أصبح التأثر بهذه النماذج نمطًا متكررًا لدى فئة واسعة من الشباب والمراهقين، بل تركت أثرًا سلبيًا على العقول والسلوك في كافة أطياف المجتمع، الأمر الذي يستوجب على كل التربويين والباحثين الوقوف عند هذه الظاهرة بالدراسة والتحليل والنقد، لبيان سبل مواجهة هذا الكم الهائل من التافهين والتافهات، الذين تصدروا في مختلف منصات التواصل الاجتماعي، ووسائل الإعلام، لبث عقدهم النفسية، والسموم الفكرية على حساب معايير المجتمع الدينية والخُلقية والفكرية.

مشكلة وأسئلة البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة ظاهرة القدوات التافهة، ودورها في الانحراف الخلقي والفكري في المجتمع، وفق المنظور التربوي الإسلامي، وتحليلها وبيان آثارها ومخاطرها على منظومة الأخلاق والفكر في المجتمع عامة، وفي الأجيال الصاعدة خاصة، **ومن هنا جاءت الأسئلة الآتية:**

١- ما مفهوم القدوة وما أنواعها؟

٢- ما مدى دور القدوات في إصلاح المجتمع أو إفساده؟

٣- لماذا يتفوق الأثر السلوكي على الأثر التعليمي خصوصًا فئة الشباب؟

٤- كيف نعلم الأجيال الصاعدة التمييز بين القدوات الإيجابية والقدوات التافهة؟

٥- كيف تساهم وسائل الإعلام الحديثة ومنصات التواصل الاجتماعي في نشر العاهات الفكرية المختلفة؟

٦- كيف يمكن مقاومة تأثير القدوات التافهة على المجتمع؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

١- بيان معنى القدوات وأنواعها، ودورها في إصلاح المجتمع أو إفساده.

٢- تحليل ووصف ظاهرة القدوات التافهة، ودراسة أسباب تصدرها في المشهد الإعلامي والاجتماعي.

٣- بيان مدى تأثير القدوات الفاسدة على القيم الأخلاقية، وسلوك الشباب في مجتمعنا الإسلامي.

٤- التأكيد على ضرورة تكاتف الجهود التربوية لرفع وعي المجتمع بمخاطر انتشار التافهين وتأثيرهم.

٥- إبراز سمات ونماذج القدوات الحسنة لضمان تحصين المجتمع والأجيال من الانحراف الفكري والخلقي؛ لأن غياب القدوات الصالحة وانتشار القدوات السيئة يؤدي إلى تفشي المنكرات، وانحلال الأخلاق، وتدهور القيم، مما يُنذر بتفكك المجتمع وانهياره.

أهمية البحث:

١- يسعى هذا البحث إلى دراسة أهمية "القدوات" في المجتمع، وبيان دور القدوة التافهة في تعميق الانحراف الخلقي والفكري، وما لذلك من انعكاس سلبي على حاضر ومستقبل المجتمعات الإسلامية، خاصة في ظل التطور السريع والمستمر في وسائل التواصل الاجتماعي، على مختلف المنصات الالكترونية.

٢- كما يهتم البحث إلى بيان مخاطر هذه الظاهرة على المبادئ الإسلامية، والقيم الاجتماعية، ووضع الحلول والمقترحات لمواجهة هذا السيل الجارف من التضليل، والانحراف المقصود، لتقويض مقومات بناء الأجيال على القيم التربوية السليمة، مما يفضي إلى انهيار ركائز النهضة الاجتماعية، وتفكيك هوية الأجيال الصاعدة، على مختلف الأصعدة في المجتمعات الإسلامية.

منهج البحث:

اتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي الذي يتناسب مع طبيعة هذا البحث مع الاستعانة ببعض المناهج إذا لزم الأمر.

الدراسات السابقة

هناك العديد من الدراسات حول "القدوة السلبية" و"تأثير وسائل الإعلام على المجتمع" و"خطورة المحتوى الهابط"، وإن اختلفت تلك الدراسات في زوايا المعالجة وبيئات البحث، فقد ركزت بعض الدراسات على دور وسائل الإعلام في تكريس أنماط سلوكية منحرفة، من خلال إظهار الشخصيات المثيرة للجدل، أو الفارغة فكريًا بوصفها نماذج ناجحة، بينما اهتمت دراسات أخرى بتحليل أثر هذه النماذج على فئة الشباب خاصة، وما ينشأ عنه من تغيّر في المعايير الأخلاقية والقيمية، إلى غير ذلك من الزوايا المختلفة، ومن هذه الدراسات ما يلي:

١- بحث قصير بعنوان: (القدوة السيئة وآثارها على الفرد والمجتمع في ضوء القرآن الكريم، دراسة استقرائية تحليلية)، للباحث: سلطان بن صغير بن نايف العنزي، جامعة الحدود الشمالية، بحث منشور بتاريخ (١٦/٧/١٤٤٤هـ)، ويهدف هذا البحث إلى التعرف على أصناف القدوة السيئة وصفاتها التي حذر منها القرآن الكريم، وبيان أثرها وخطرها على الفرد والمجتمع، مع بيان الأساليب القرآنية في عرض هذه القدوة، وطرق التحذير منها، بما ينفر منها أشد التنفير، وقد قام الباحث باستقراء الآيات الدالة على ذلك، وجمعها ودراستها وذكر كلام المفسرين في بيان معناها باختصار.

٢- مقال بعنوان: (خطر القدوة السيئة على الجيل الناشئ)، للكاتب: خالد بن سعود البليهد، عضو الجمعية العلمية السعودية للسنة، https://saaid.org/Doat/binbulihed ٢٥٧.htm

٣- مقال بعنوان: (أثر القدوة السيئة)، للكاتب: عبدالله بن حسن القعود، منشور بتاريخ (١٠/١٢/٢٠٢٢م)، https://khutabaa.com/ar/article

٤- مقال بعنوان: (الأخلاق – القدوة)، تناول فيه: مفهوم القدوة، والقدوة في الاستعمال القرآني، والألفاظ ذات الصلة، وأنواع القدوة، ونماذج من القدوة في القرآن. https://web.surahapp.com/ar/objective-interpretation

٥- بحث قصير بعنوان: (دور القنوات الفضائية العراقية في نشر ثقافة التفاهة في المجتمع)، للباحث: وليد رشيد مريمش، قسم الإعلام، كلية الفارابي الجامعة.

ورغم أن هذا البحث لها ارتباط بتلك الدراسات السابقة إلا أني لم أقف- في حدود علمي على أي دراسة سابقة تناولت الموضوع في اطاره المحدد "**دور القدوات التافهة في تعميق الانحراف الخلقي والفكري في المجتمع**" (دراسة وصفية تحليلية)، والتي تُعالج هذه المشكلة من منظور تحليلي نقدي متكامل، يجمع بين البعد التربوي والفكري، والدراسة الواقعية لحال المجتمع، مع اقتراح آليات مواجهة عملية، لتقليل مخاطر هذه الظاهرة المريبة التي تسير على وتيرة سريعة ومقلقة.

هيكل البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وسبعة مباحث، وخاتمة، وبيانهم كالآتي:

المقدمة: وتشتمل على مشكلة وأسئلة البحث، وأهداف البحث، وأهمية البحث، ومنهج البحث، والدراسات السابقة، وهيكل البحث.

التمهيد: وفيه التعريف بمصطلحات البحث:

أولًا: مفهوم القدوة في اللغة والاصطلاح.

ثانيًا: مفهوم التافه في اللغة والاصطلاح.

ثالثًا: مفهوم الانحراف في اللغة والاصطلاح.

المبحث الأول: أنواع القدوات.

المبحث الثاني: أهمية القدوة وآثارها.

المبحث الثالث: أسباب ظهور القدوات التافهة.

المبحث الرابع: صناعة القدوات التافهة.

المبحث الخامس: عناصر الجذب في القدوات التافهة.

المبحث السادس: دور القدوة التافهة في تقويض القيم الاجتماعية.

المبحث السابع: أهمية الوعي الاجتماعي لمواجهة ظاهرة "القدوات التافهة".

الخاتمة: وتتضمن نتائج البحث وبعض التوصيات والاقتراحات.

المصادر والمراجع.

التمهيد: وفيه التعريف بمصطلحات البحث

أولًا: مفهوم القدوة في اللغة والاصطلاح

القدوة في اللغة:

جمعها قدوات، ومفردها كما قَالَ اللَّيْث: القَدْو: أصل البناء الذي ينْشعِب منه تصريف الِاقْتِدَاء، ويُقَال: قِدْوُه وقُدوة لما يُقتَدَى بِهِ (ابن دريد، ١٩٨٧م، صفحة ١٩١)، ويقول ابن سِيدَه: القُدْوَة ما تسننت به (ابن سيده، ١٤٢١ هـ، صفحة ٥٣٤)، وفي المصباح المنير: الْقُدْوَةُ: اسم من اقتدى به إذا فعل مثل فعله تأسيا، وفلان قدوة لفلان، إذا كان يقتدى به ويتبعه، وأصل الاقتداء في اللغة طلب موافقة الثاني للأول في فعله (الخازن، ١٤١٥ هـ، صفحة ١٣٣)، (الفيومي، بدون، صفحة ٤٩٤)، (ابن دريد، ١٩٨٧م، صفحة ٦٧٧).

القدوة في الاصطلاح:

انطلاقًا من مجموع ما ذكرنا من التعاريف اللغوية فإن كلمة "القدوة" أصلها الاشتقاقي من مادّة (ق د و) التي معناها يدور حول: الاقتداء بالغير، ومتابعته والتأسي به، والحذو على طريقه، والتمثل به سلوكًا ومنهجًا وفكرًا، والقدوة تأتي بمعنى الأسوة، فالأسوة في الاصطلاح: هي: الاتباع للفعل، والاقتداء بالفاعل، وهذا الشيء قدوة وأسوة، أي: هو تبع له ومحكوم إلى حكمه (الحميدي، ١٤١٥ هـ، صفحة ٤٣).

قال الراغب: "الأسوة كالقدوة، وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسنًا وإن قبيحًا، وإن سارًا وإن ضارًا" (الراغب ا.، ١٤١٢ هـ، صفحة ٧٦).

وقال الشنقيطي: "الأسوة كالقدوة، وهي اتباع الغير على الحالة التي يكون عليها حسنة أو قبيحة" (الراغب ا.، ١٤١٢ هـ، صفحة ٨٥).

ووقد وردت هذه الألفاظ في القرآن الكريم في قوله الله تعالى:﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢١]، قال الإمام القرطبي: "الأسوة القدوة، والأسوة ما يتأسى به، أي يُتَعَزَّى بِهِ، فيقتدى به ﷺ في جميع أفعاله يُتَعَزَّى بِهِ في جميع أحواله (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٣٨٤هـ، صفحة ١٥٥).

فالقدوة تعني الأسوة والمثل الذي يحتذى به، والقدوة الحسنة هي الشخص الذي يتحلى بالأخلاق الحميدة والصفات النبيلة بحيث يكون نموذجًا ومثالًا يقتدى به في أقواله وأفعاله وتصرفاته، وخير قدوة للخلق أجمعين هو النبي محمد ﷺ الذي وصفه ربه ﷻ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم:٤].

ثانيًا: مفهوم التافه في اللغة والاصطلاح

كلمة تافه في اللغة تعني الشيء الخسيس القليل، وَقد قيل: تَفِه الشَّيْء يتْفَه تَفَهًا فَهُوَ تافِه وتفِه، ورجلٌ تافِه العَقْل: أَي قَلِيله، والشَّيْء التافه، وَهُوَ الخسيس الحقير (الأزهري، ٢٠٠١م، صفحة ١٣١).

إذا فالتفاهة تعني: الشيء القليل الخسيس الحقير.

مفهوم كلمة تافه في الاصطلاح:

لا يخرج مفهوم كلمة تافه في الاصطلاح عن مفهومها في اللغة فهي تطلق في الاصطلاح بمعنى الحَقِيرُ اليَسِيرُ، وقيلَ: الخَسِيسُ القَليلُ؛ ورجل تافه أي أحمق قليل العقل، والتافه الحقير من كل شيء، وبه فُسِّرَ حدِيثُ الرُّوَيْبِضَة؛ قالَ: هو الرجُلُ التافِهُ يَنْطقُ في أَمْرِ العامَّةِ، أَمْرِ العامَّةِ (الشيباني، ١٤٢١هـ، صفحة ٢٩١)، (الألباني، ١٤١٥ هـ، صفحة ٥٠٨)، (الزبيدي، محمد عبد الرزاق، بدون، صفحة ٣٥٥)

مما سبق يتضح أن مفهوم مصطلح القدوات التافهة هو اتباع وتقليد الإنسان التافه الأحمق قليل العقل في أقواله وأفعاله وتصرفاته القبيحة.

ثالثًا: مفهوم الانحراف في اللغة والاصطلاح

تعريف الانحراف في اللغة:

هو الميل إلى الحرف أي الطرف، وهو البعد عن الشيء والميل عنه، والتحريف: التغيير والتبديل، وهو في القرآن: تغيير الحرف عن معناها، والكلمة عن معناها، يقال: قلم محرف: إذا عدل بأحد حرفيه عن الآخر، وإذا مال الإنسان عن شيء يقال: تحرف، وانحرف، وانحرف الشخص: مال عن جادة الصواب (عمر، ١٤٢٩ هـ)، (الزبيدي، محمد عبد الرزاق، بدون، صفحة ١٣٥).

تعريف الانحراف في الاصطلاح:

الانحراف في الاصطلاح: يطلق الانحراف في الاصطلاح ويراد الانحراف والبعد عَن الْحق والانبعاث فِي الْمعاصِي والمناهي، وَأَصله الْمُفَارقَة لأمر الله تَعَالَى (الحميدي، ١٤١٥ هـ، صفحة ٦٢).

المبحث الأول: أنواع القدوات

تنقسم القدوة إلى نوعين:

النوع الأول: القدوة الحسنة:

وهم أهل الفضل والخير والصلاح في كل ما يتعلق بمعالي الأمور ومكارمها، وفي مقدمتهم النبي محمد ﷺ وجميع الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم، والصالحين من عباد الله المؤمنين، قال تعالى مبينا أن قدوة المسلمين جميعًا هو النبي محمدﷺ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[سورة الأحزاب: ٢١]، وقال تعالى في حق إبراهيم عليه السلام:﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [سورة الممتحنة: ٤]، وقال في حق جميع الأنبياء والرسل:﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [سورة الأنعام: ٩٠]، وقال في حق المؤمنين المتقين:﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [سورة الممتحنة: ٦].

فكل هذه الآيات الكريمات تدل دلالة واضحة على أهمية القدوة الحسنة التي تجسد كل معاني الخير والفضل في السلوك والأفعال والأخلاق، وهي محل التأسي والاقتداء لكل أفراد المجتمع، فهي علامة النجاح والتميز.

النوع الثاني: القدوة السيئة:

وهم أهل السوء، وأصحاب المسالك المذمومة، والسلوك المنحرف، وهؤلاء هم شرار الناس؛ لأنهم يكونون داءًا عضالًا، ووبالًا على مجتمعاتهم والآخرين، حيث يقتدي بهم غيرهم في كل أنواع الشرور، وقد توعدهم الله تعالى في كثير من الآيات بالويل والخسران في الدنيا والآخرة، ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [سورة النحل: ٢٥].

ومن ذلك قول المشركين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٢٣]، ولهذا رد عليهم القرآن بقوله: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ [سورة الزخرف: ٢٤] (حميد، بدون، صفحة ٦).

المبحث الثاني: أهمية القدوة وآثارها

تنبع أهمية القدوة خصوصًا القدوة الحسنة من اهتمام القرآن الكريم بها، فقد وردت في أكثر من موضع، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [سورة الأنعام: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [سورة الأحزاب: ٢١]، إذ إن الاقتداء بالآخرين هي سمة إنسانية يتصف بها البشر منذ الأزل، فالإنسان بطبعه قابل للتأثير والتأثر والاقتداء والتعلم ممن حوله، حتى من المخلوقات التي من غير جنسه، وقد أكد القرآن الكريم هذه النزعة لدى الإنسان في موضع آخر، فقال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [سورة المائدة: ٣١]، فهذه الآية الكريمة تؤكد قدرة الإنسان على المحاكاة والتعلم من أمور قد تبدو بسيطة في نظره، لكنها تحمل دلالات عظيمة في كيفية تصرف الإنسان وتكوينه السلوكي والفكري.

وتتمثل أهمية القدوة وآثارها في الأمور التالية:

١- إن وجود القدوة في المجتمع ضرورة أساسية في كل عصر وفي كل بيئة؛ لأنها ترسم ملامح الحياة في كل مجتمع، وتحدد مسار تطوره العقلي والفكري، وعلى أساس سلوك القدوة وأفكارها تتكون لدى الأفراد التصورات والمفاهيم والمبادئ والقيم التي تجسدها سلوكياته وأخلاقه داخل مجتمعه، فإن كانت هذه القدوة صالحة تعمل على تطبيق مبادئ الإسلام، وتحافظ على القيم ومحاسن الأخلاق، وتعلي من قيمة العلم العمل، كان لها الأثر الإيجابي الكبير في رفع مستوى الوعي بين الناس ويعزز التماسك الاجتماعي.

٢- أما إذا كانت القدوة فاسدة منحرفة عن القيم السليمة، فإنها تبث الفساد العقدي والأخلاقي، وتزعزع قيم المجتمع، وتدفع الأجيال الصاعدة إلى تقليد أنماط وسلوكيات هدامة، الأمر الذي يهدد أمن واستقرار المجتمع وتماسكه على المدى القريب والبعيد.

٣- تنويه التشريع الإسلامي بأهمية القدوة لخطورة موقعها وتأثيرها، سواء كانت صالحة تقود إلى الهداية، أو منحرفة تجر إلى الضلال، فقد شدد الدين الإسلامي على أهمية القدوة الصالحة وضرورة اتباعها، قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [سورة لقمان:١٥]، فهذه وصية الله عز وجل لجميع بني الإنسان، وقوله (أَنَابَ) بمعنى مال ورجع إلى الشيء، والمعنى: اتبع سبيل من رجع إلى من عبادي الصالحين بالتوبة والإخلاص.

٤- أن اتباع طريق الصالحين هو المثال الحي والقدوة الصالحة الذي يثير في نفس البصير العاقل قدرًا كبيرًا من الاستحسان والإعجاب والتقدير والمحبة، فيميل إلى الخير، ويتطلّع إلى مراتب الكمال الممكن، ويحاول تقليد ما استحسنه وأعجب به، ويعمل مثله حتى يسلك طريق الاستقامة (الميداني، ١٤٢٠، صفحة ٢١٥).

٥- تحذير الإسلام الشديد من الانخداع بالقدوة التافهة؛ لأن اتباعها على الباطل من الأسباب المهلكة، والمؤدية إلى الضلال والانحراف، ونهاية كل ذلك الحسرة والندامة، قال تعالى﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٧]، ولقد جاء تحذير الإسلام من القدوات الضالة والتنبيه إلى خطورتهم؛ لأن خطأ القدوة لا يقتصر عليه فقط، بل يتعداه إلى غيره؛ لأنه مصدر للتوجيه والتأثير في الأفكار والسلوكيات، وبالتالي فإن تصرفاته المنحرفة تنقل الأجيال الصاعدة إلى مسارات مظلمة، خاصة في عصرنا الحديث، التي تهيمن فيه وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي الحديثة على كل شيء، مما أدى إلى تيسير الاختلاط الثقافي، والاحتكاك البشري فكريًا وثقافيًا عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وظهر على العلن مدى تأثير القدوات التافهة على المجتمعات، وفي المقابل انحصار صوت القدوات الصالحة وتأثيرهم المتضائل، وقد استغل هؤلاء الفاسدون الفجوات الاجتماعية والنفسية التي يعيشها الشباب، مع ضعف الوازع الديني، وقلة الوعي، وغياب الرقابة، وتطلع الكثير من الشباب إلى حياة الرفاهية الزائفة التي يعيشها هؤلاء الأشخاص، والتي تُغري المتابعين، وتخلق حالة من التوهان، وضياع البوصلة في أوساط الشباب.

٦- أن تصدر بعض المنحرفين التافهين في وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، وتعرضهم لخصوصيات وحرمات البيوت والنساء وغيرها، من الأمور التي تُعتبر من المحظورات الشرعية والاجتماعية، مما يؤدي إلى الانحلال في المعايير الأخلاقية، والانحطاط في الشعور بالمسؤولية الاجتماعية، وهذا كله قد تسبب في ضعف الروابط الأسرية والاجتماعية، وخلق أجيالًا تفتقر إلى القيم الأساسية التي تبني الإنسان المسلم المتزن.

المبحث الثالث: أسباب ظهور القدوات التافهة

من أهم أسباب ظهور القدوات التافهة ما يلي:

١- هيمنة وسائل التواصل الاجتماعي: لقد كان لهيمنة مواقع التواصل الاجتماعي، مثل الفيس بوك، وانستغرام، وتيك توك الأثر البالغ في تحول التركيز من المحتوى العميق إلى الترفيه السريع والمختصر، حيث تقوم هذه المنصات على التفاعل السريع والمشاهدات العالية، مما يشجع على إنتاج محتوى قصير وسطحي، يفضله الجمهور على حساب المحتوى المفيد، حيث يفضل كثير من الشباب تقديم البساطة الفارغة، واستهلاك الفيديوهات القصيرة، والمحتويات السطحية التي لا تتطلب تفكيرًا عميقًا، على حساب المعرفة والتحليل.

٢- السعي وراء الشهرة السريعة: لقد أصبح النجاح السريع هدفًا يسعى إليه كثير من الناس، وخاصة الشباب منهم، فمن الممكن لأي شخص في عصر وسائل التواصل أن يكتسب شهرة عابرة دون الحاجة إلى مهارات أو إنجازات حقيقية، حيث يكفي الشخص أن يقدم محتوى سطحيًا هابطًا، أو مثيرًا للجدل حتى يجذب

المتابعين، ويحقق انتشارًا واسعًا، مما يمنح الأفراد فرصة للشهرة من خلال نشر أي محتوى، حتى لو كان تافهًا، في سبيل زيادة المشاهدات.

٣- غياب الرقابة القانونية: يؤدي غياب القوانين الصارمة والمحاسبة على المحتوى الرقمي خاصة في الدول النامية، وعدم التعامل القانوني بشكل جاد مع من ينشرون هذه التفاهات، إلى انتشار المحتويات التافهة دون قيود أو ضوابط، مما يضعف دور الإعلام والمؤسسات المسؤولة في توجيه المجتمع.

٤- تراجع دور التعليم والفكر النقدي: أدى التركيز على الترفيه إلى تقويض وتهميش دور التعليم في تعزيز التفكير النقدي، مما يحول الأفراد إلى مستهلكين سلبيين للمحتوى دون وعي أو إدراك.

٥- صعود ثقافة المال والاستهلاك: تسعى الشركات والمنابر الإعلامية إلى تحقيق الربح، من خلال سيادة ثقافة الاستهلاك، وتصاعد دور المال كدافع رئيسي لإنتاج وتسويق المحتوى التافه، والترفيه السريع، فضلًا عن تغذية الفراغ الفكري لدى الأفراد والسعي وراء الشهرة السريعة، على حساب المحتوى العميق، مما يدفعها إلى ترويج المحتوى الذي يحقق أكبر قدر من المشاهدة، بغض النظر عن قيمته الفكرية أو العلمية.

٦- الفراغ الفكري: يشعر بعض الأفراد بالفراغ الفكري والملل، رغم توفره على كل وسائل الترفيه، فيلجأون إلى المحتوى التافه كوسيلة سريعة لإشباع حاجاتهم النفسية والترفيهية، بدلًا من البحث عن المعرفة والفكر العميق.

٧- تسييس التفاهة: تقوم بعض الدول بإنفاق مئات الملايين لإنتاج برامج تافهة، وأصبح تسويق المحتوى التافه لأفراد المجتمع محل الاهتمام والتطوير، فأصبحت المحتويات التافهة أداة للسيطرة على الشعوب، لتشتيت انتباه الناس وإبعادهم عن القضايا المهمة، وإجبارهم على الانقياد الأعمى، مما أدى إلى زعزعة ثوابت المجتمعات وقيمها وأخلاقها.

٨- تدني الوعي الفكري في البلدان العربية: يقبل عدد هائل من العرب بشكل فظيع على اللهث وراء الفضائح والفيديوهات غير الهادفة، التي لا تعدو أن تكون ترفيهية لكن بشكل مبالغ فيه؛ فلن يستطيع أولئك المغمورون أن يصيروا نجومًا من لا شيء لولا متابعة الناس لهم، ونشرهم لأعمالهم؛ فعقول الناس لا تتماشى كثيرًا مع الفكر والقراءة، لكنها تجد ضالتها في إشباع حاجاتها، وتضييع وقتها وفكرها من خلال متابعة فضائح وسخافات بعض هؤلاء المنحرفين، والإقبال على الأعمال الهابطة مثل متابعة أشخاص اكتسبوا شهرة من خلال فعل جنوني، أو من خلال فضيحة اقترفوها، أو حتى عمل غبي أوصلهم إلى قائمة أعلى المشاهدات على منصة اليوتيوب.

٩- تجارة التفاهة والترويج لها: إن الرأسمالية العالمية تعمل على إغراق الإنسان في أوحال الثقافة من خلال الترويج لبرامج تافهة لها أبعاد نفسية وفكرية واجتماعية، ووسائل التواصل الاجتماعي تصنع وتصدر بعض التافهين، وتصورهم على أنهم نجوم وقدوة، وتقيم قيمة البرنامج بملايين المشاهدات، بغض النظر عن محتواه وقيمته الفكرية أو العلمية.

١٠- تنمر التافهون: لقد تغلغل بعض التافهين في جميع قطاعات المجتمع ومن بينها الإعلام والاقتصاد والتجارة والتعليم، وأصبحوا يتصدرون المشهد، ويوجهون أفراد المجتمع كما يشاءون، لأنهم يرون أنفسهم الأفضل، غير مدركين عدم نضجهم، وقلة فهمهم لأمور الحياة.

١١- سهولة الشهرة من خلال توفر الهواتف الذكية لكل شخص: قديمًا كانت عملية التصوير تتطلب مالًا ووقتًا، ولكنها تبقى خاصة لا تنشر، ويحتفظ الشخص بصوره؛ أما اليوم فقد أصبح كل فرد يملك كاميرا يصور بها كل شيء؛ وحين يصور أتفه شيء يكون مرشحًا لأن يصبح نجمًا من لا شيء، مثلًا يكفي أن يقول كلامًا مضحكًا يستحسنه زوار اليوتيوب للسخرية منه، ويتم نشره على نطاق أوسع؛ وقد تقوم بعض الحكومات بتغذية المواد التافهة حتى تزداد عملية الإلهاء والابتعاد عما لدى أغلب مكونات شعوبها.

١٢- مسؤولية بعض الحكومات في تغذية مستنقعات التفاهة: يعد افساد الإعلام العمومي في بعض بلدان العالم الثالث عبر زرع المجنونة والبرامج الترفيهية المبالغ فيها وصرف أموال طائلة في ذلك على حساب برامج راقية وهادفة جاء ربما الدور على مواقع اليوتيوب التي لا تفرض عليها قيود غالبًا من الحكومات ويكون الزائر لليوتيوب حرًا في انتقاء ما يريد مشاهدته، حيث بدأت حملة موازية يراها بعض الناس بأنها موجهة من السلطات للدفع نحو تنصيب نجوم التفاهة في حرب معلنة ضد كل ما هو مفيد وهادف في مواقع التواصل الاجتماعي، فترى النتيجة أن شبابًا من دولة عربية سألهم أحد الصحفيين عن لاعبي كرة القدم وعن نجوم التفاهة فأجابوا باستفاضة حتى مل الصحفي، ثم سألهم عن الخلفاء الراشدين فلم يعرفوا من هم.

المبحث الرابع: صناعة القدوات التافهة

من المعروف أن مصادر تلقي الناس للمعلومات كان محصورًا جدًا قبل العصر الحديث، وخاصة قبل ظهور وسائل التواصل الاجتماعي، فالناس عادة يتلقون معلومتهم إما عن طريق الحضور المباشر، أو عن طريق الوسائط التقليدية، كالتلفاز والراديو والمسارح السينمائية، والمجلات والصحف المطبوعة، ولم تكن تلك المصادر تتيح للناس القدرة على التفاعل السريع، وإنما كانت تلك المعلومات من طرف واحد، يتلقى فيها الجمهور فقط، كما كانت تخضع في الغالب لعمليات انتقاء ومراقبة صارمة من الجهات الرسمية، مما جعل تدفق الأخبار والمعارف بطيئًا نسبيًا ومقيدًا، كما كانت عملية التأثير والتأثر أيضًا ضئيلة ومحدودة النطاق.

- ومع التحول الرقمي السريع، واعتماد الناس في العالم الافتراضي بعد ظهور الشبكة العنكبوتية، ثم انتشار منصات التواصل الاجتماعي، فقد تنوعت وسائل المعلومات، وزاد اهتمام الناس بها، وتنافسوا عليها، حتى انفتح المجال أمام تدفق غير مسبوق للمعلومات، وتداول سريع لا حد له من الثقافات، وتجاوزت عملية النشر من النطاق النخبوي المتحكم، إلى فضاء عالمي شاسع، تلتقي الثقافات والأفكار على نطاق عالمي فوري، وهو ما يعرف اليوم باسم العولمة.
- أدى هذا التحول إلى تراجع دور النخبة بشكل ملفت، وضعف تأثير ما تبثه المؤسسات الرسمية من أيدولوجيات مقننة، حيث اعتمد الناس على الجهود الفردية للإنتاج والنشر، وبث المحتوى الذي يتناسب مع ميول الشباب الشخصية، مما أدى إلى شيوع الفوضى المعرفية، وظهور أنماط جديدة من المؤثرين، وطرق جديدة للتأثير.
- كل هذه الأمور أتاحت الفرصة إلى بروز القدوات التافهة والمنحرفة، التي استطاعت بفضل خفة المحتوى، وسرعة انتشاره، وقلة القيود، أن تحظى بمتابعة جماهيرية واسعة، على حساب الرموز الجادة، وأصحاب الرسالة السامية.

- إن هذا الفضاء التكنولوجي المفتوح عبر مختلف وسائل الإعلام الحديثة، وبرامج التواصل الاجتماعي، أسهم كثيرًا في تشجيع صناعة المحتوى، والمشاركة، بغض النظر عن جودته ونوعه وأهميته؛ لأن معايير النشر ليس لها سقف محدد، كما أنها تعطي الأولوية على مدى التفاعل السريع مع المحتوى، ومدى إثارته لمشاعر الناس، من فرح، أو حزن، أو صدمة، أو فكاهة، أو أي شيء آخر يثير انتباه المشاهد، بغض النظر عن أهميته أو فائدته الحقيقة.
- أن جميع المحتويات في الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي أصبحت اليوم أكثر جذبًا للتفاعل والمشاهدة، مما أسهم في إحداث خلل عميق في منظومة القيم، وأُعطي التافهين أولوية الانتشار على حساب المحتوى الهادف، فتشوهت المعايير، واضطربت الموازين، واختلط الحابل بالنابل، والنافع والضار.
- إن معظم صانعي هذه المحتويات كرسوا جهودهم في كيفية الحصول على الثروات الهائلة، وعيشة الرفاهية، من خلال تقديم المحتويات الهابطة، أو نشر التفاهات، وتعميق الانحلال الخلقي، حتى غدا الفساد الفكري والأخلاقي أمرًا مألوفًا في الوعي المجتمعي، وتكوَّن لدى كثير من أفراد المجتمع خاصة في الجيل الصاعد، صورة نمطية كاذبة، توهمهم بأنه يمكن الحصول على المال والرفاهية دون أي جهد علمي أو مهني، بل بالانحلال الخلقي، أو باستعراض خصوصيات البيوت، والمتاجرة بالأطفال، مما خلق حالة تهاون في عمل سلوكيات كان يراها المجتمع في أزمنة قريبة بعين الحرمة أو الاشمئزاز الفطري.
- وقد تساءل بعض الباحثين والأكاديميين عن سبب ذلك، حيث طرحت إحدى الباحثات **السؤال التالي**: "في رأيك، لماذا تنتشر بعض التوافه بسرعة كبيرة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، بينما لا تنتشر الأبحاث العلمية التي تخدم المجتمع بنفس الطريقة؟ وهل وصلنا إلى عصر التوافه؟"

فكانت جواب أحدهم: "في رأيي، أحد الأسباب هو أن خوارزميات وسائل التواصل الاجتماعي مصممة لتعزيز التفاعل، وزيادة مشاركة المستخدمين، وهو ما يتضمن غالبًا ترويج المحتوى الذي يثير المشاعر، مثل الغضب، أو الفكاهة، أو الحماس، ويمكن أن يؤدي ذلك إلى انتشار المحتوى التافه; لأنه غالبًا ما يكون أكثر قابلية للمشاركة، وأسهل في الاستيعاب من الأبحاث العلمية المعقدة، فيبحث العديد من مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي عن الإشباع الفوري والترفيه، وهم أقل ميلًا للتفاعل مع المحتوى الذي يتطلب استثمارًا كبيرًا في الوقت، أو جهدًا فكريًا لفهمه...."(Waheeb, 2023) .

- إن تعدد وسائل الإعلام، وسهولة الوصول إليها، ساعد على التنافس على صناعة نماذج سطحية، أكثر من السعي لتقديم قدوات حقيقية، فكثير من هذه النماذج لا تمتلك رصيدًا علميًا، أو معرفيًا يذكر، بل ترك أصحابها مقاعد الدراسة، واكتفوا بالظهور في قوالب جذابة، ومؤثرات بصرية مبهرة، تُبذل فيها جهود ضخمة لخطف عقول الجماهير، وبهذا، تُزيح القدوة التافهة النماذج الإيجابية من دائرة الضوء، فتضعف مكانة العلماء والمبدعين والمصلحين، وتختفي النماذج الملهمة من المشهد العام.
- يجب العمل على بذل المزيد من الجهود لتكثيف العمل الإعلامي الهادف، ودعم معرفة حسابات النشطاء الفاعلين، أصحاب القيم والمبادئ، لتعزيز دور الأخلاق الفاضلة، والقيم الإسلامية في المجتمع.

المبحث الخامس: عناصر الجذب في القدوات التافهة

في هذا المبحث نتناول الحديث عن العناصر التي تتمتع بها القدوات التافهة والمنحرفين، والتي تجعل بعض الناس وخاصة الأجيال الصاعدة يقلدونهم، ويقتدون بهم، ويسيروا على نهجهم ومنوالهم، مع علم هؤلاء الشباب بسذاجتهم، وانحطاطهم وانحرافهم عن الطريق المستقيم.

فقد أثبتت بعض الدراسات التربوية ومنها: مقال بعنوان (خطر القدوة السيئة على الجيل الناشئ، لخالد بن سعود البليهد، https://saaid.org/Doat/binbulihed ٢٥٧htm)، أن القدوات التافهة تملك من عناصر الجذب، ما تؤثر به في نفوس الأجيال الصاعدة، فيسارعون إلى تقليدهم في كل شيء، ومن أهم هذه العناصر ما يلي:

١-تمتع القدوة التافهة بالشهرة أو النجومية

من أهم العناصر التي تجذب العوام والسطحيين من الناس، والمراهقين والأجيال الصاعدة على وجه الخصوص، ما تتمتع به القدوات التافهة من الشهرة الإعلامية، أو النجومية، وتسليط الأضواء عليها، فيحاول الشباب تقليد هؤلاء التافهين في كل شيء يقدمونه، أو يفعلونه، حتى في طريقة حديثهم، واستعمالهم لبعض الألفاظ والمصطلحات السوقية الغريبة عن المجتمع، وكذلك اختيارهم لبعض الملابس الغريبة، وطريقة قص شعر الرأس، وأنواع الطعام، وبعض الأمور الدخيلة على المجتمع الإسلامي، والتي من شأنها انسلاخ الشباب عن القيم والأخلاق الإسلامية السامية.

٢-تمتع القدوة التافهة بالسلطة والقدرة المالية

من العناصر التي تجذب الشباب والأجيال الصاعدة، ما تتمتع به بعض القدوات التافهة من السلطة والقدرة المالية، مما يساعد على تقليدهم لنيل رضاهم، وقد ذم الله عز وجل قومًا بسبب تقليدهم الأعمى لكبرائهم، واشتغالهم بطاعتهم، عن النظر والاستدلال فيما يدعونهم إليه من فساد، فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ [سورة الأحزاب: ٦٧]، وفي هذا إحالة الذنب على الغير كما هي عادة المذنب، يفعل ذلك وهو يعلم أنه لا يجديه نفعًا.

٣-غياب القدوة الحسنة

من أهم عوامل جذب الشباب والأجيال الصاعدة نحو القدوات التافهة والمنحرفة، هو اختلاط الثقافات المختلفة بعضها مع بعض، وذلك من خلال الفضائيات، وتكنولوجيا الاتصالات، والظهور المستمر للقدوات التافهة والمنحرفة، وغياب منظومة القيم الفكرية التي تتحكم في هذه الثقافات، وتخضعها للأحكام الفقهية، والعقيدة والأخلاق الإسلامية، مما أدى إلى وجود فراغ شاسع، استطاع التافهون بما يملكون من أدوات وأساليب شيطانية، أن يشغلوا هذا الفراغ، ولم يجد الشباب إلا هذه النماذج الهابطة التافهة تتصدر الساحات الإعلامية، ووسائل التواصل الاجتماعي، فعمدوا إلى تقليدهم والسير في مسالكهم.

المبحث السادس: دور القدوة التافهة في تقويض القيم الاجتماعية

لقد سبق في المبحث الأول تعريف القدوة بأنها تدور حول معنى الاقتداء والمحاكاة، والسير على طريق الغير، وأن التفاهة في اللغة تدور حول معنى: الشَّيْء الخسيس الْقَلِيل، فكلمة "تفاهة" مشتقة من (تَفِهَ)، التَّاءُ وَالْفَاءُ وَالْهَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ قِلَّةُ الشَّيْءِ، يُقَالُ تَفِهَ الشَّيْءُ فَهُوَ تَافِهٌ، إِذَا قَلَّ، (القزويني، ١٣٩٩هـ، صفحة ٣٤٩)، فالإنسان التافه: هو الإنسان الأحمق، ضعيف العقل والفكر، الذي لا ينظر إلى الأمور بعين البصيرة ولا يدرك عواقبها.

- فالشخص الضعيف الذي يتبع هوى النفس والشيطان، إذا تصدر في أمور العامة ضل وأضل؛ لأنه يتسم بالسطحية، ويفتقر إلى العمق الفكري، والنضج الخلقي، ولو كان ذا تأثير اجتماعي، إما لنفوذه المالي، أو السياسي، أو الإعلامي، فإنه يساهم في تشويه المعايير الأخلاقية والفكرية لدى المجتمع، خاصة الأجيال الناشئة التي تتأثر وتتشكل بسهولة.
- وهذا هو الحاصل في عصرنا هذا؛ عندما أطلق عنان التافهين، حيث تملَّكوا الكثير من وسائل التأثير، وأساليب الاستمالة، ولعبوا دورًا سلبيًا ومحوريًا في إفساد المجتمع، بما يروجونه من سلوكيات وأفكار سطحية أو منحرفة، تتنافى مع كافة تعاليم الدين، وتتصادم مع كل القيم والأخلاق الإسلامية، والأعراف الاجتماعية، وقد حذر النبي ﷺ من ذلك فقال ﷺ: «بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ سُنُونٌ خَوَادِعُ يُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَتَنْطِقُ الرُّوَيْبِضَةُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ» قَالَ: قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ» (ابن ماجه، بدون، صفحة ١٣٣٩)، وحسنه الألباني في الحديث (الألباني، ١٤٢٢ هـ، صفحة ٥٠٩).
- إن تصدر التافهين المنحرفين وتحكمهم في مفاصل حياة المجتمع عبر وسائل الإعلام عامة، ومنصات التواصل الاجتماعي خاصة، يؤدي إلى انتشار الفوضى الفكرية والخلقية، التي تفكك النسيج الاجتماعي، حيث يرسخون في نفوس المتلقين أفكارًا ومعتقدات مغلوطة، تهدم القيم والأخلاق الإسلامية، وتبعد الأجيال عن جادة الصواب، واتباع الطريق المستقيم.
- لقد أصبحت التفاهة جزءًا أساسيًا من حياة الناس اليوم كثقافة سائدة، تستهلك عقولهم، وأوقاتهم، بشكل مبالغ فيه، وتحتل مساحة واسعة من اهتماماتهم، حيث يقضون ساعات طويلة في جدال لا ينتهي، وشجار لا طائل من ورائه، حول أشياء تافهة، مثل استعراض الموضة، وعرض ثياب بعض الفنانات، أو حفل تكريم فنانين وفنانات، أو ألعاب المقامرات، أو الرحلات الترفيهية، أو عمليات البث المباشرة التي تأتي من داخل البيوت، وفضح أسرارها، وهتك حرماتها، مما يدل على عمق تحكم سلطة التافهين المنحرفين في واقع مجتمعاتنا، مقابل تهميش أهل الإبداع والفكر، والأخطر أن هؤلاء التافهين صاروا قدوة للشباب المعاصر.
- إن الممارسات السلبية التي تقوم بها تلك القدوات التافهة تظهر خطورتها على المجتمع، من خلال انتشار كثير من الأخلاقيات الوضيعة، والتقليد الأعمى لما يُعرض في وسائل الإعلام الأجنبية، وفي بعض وسائل التواصل الاجتماعي، وكل ما من شأنه الانخلاع عن القيم الأصيلة، مما يدفع الشباب إلى محاكاة أنماطهم، دون وعي بالتبعات، حتى أصبحت سلوكياتهم طائشة، تسعى وراء الشهرة بأي ثمن، وتهمش التعليم والعمل الجاد، وقد

استوقفتني مقولة القسيس زويمر حينما كان ينصح إلى زملائه في الإرسالية التبشيرية، حيث قال: "تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم، ومن بين صفوفهم؛ لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها" (اليافي، ١٣٨٧هـ، صفحة ٨).

- أن كثيرًا من المتصدرين في البرامج الإعلامية عبر القنوات الفضائية، ووسائل التواصل الاجتماعي، ممن يجذبون الشباب ويستحوذون عليهم، يعانون من التشوه العقدي، والاضطراب الفكري، والازدواجية الثقافية، والانعدام الخلقي، فيتسابقون إلى إشاعة المنكر، وترويج ثقافة التفاهة، واللامبالاة، فيخلطون الحق بالباطل، ويبثون سموم فسادهم بشكل مباشر أو غير مباشر، ولهذا فإن بقاء هؤلاء في منصاتهم دون رقابة حكومية ووعي اجتماعي، يضعف من قدرة المجتمع على بناء جيل واعٍ، قادر على تحمل المسؤولية والالتزام بالقيم؛ لأنها تبثّ في النفوس الخمول الفكري، والانحلال الخلقي، وتزييف مفهوم الهوية والقيم، مما يتطلب وقفة جادة لإعادة بناء منظومة القدوة الصحيحة، والتربية السليمة.

المبحث السابع: أهمية الوعي الاجتماعي لمواجهة ظاهرة "القدوات التافهة"

تتمثل أهمية الوعي الاجتماعي لمواجهة ظاهرة القدوات التافهة، فيما يلي:

١- من خلال ما تم عرضه في المباحث السابقة يتضح أن القدوة من أبرز العناصر المؤثرة في تشكيل سلوكيات الأفراد، وخاصة بين الشباب والأجيال الصاعدة، بَيْدَ أنَّ انتشار القدوات التافهة في المجتمع من خلال وسائل الإعلام، ووسائل التواصل الاجتماعي أصبح يشكل تهديدًا واضحًا على الدور الرئيس للقيم الفاضلة، والعادات الموروثة في المجتمع.

٢- إن تأثير القدوات التافهة في الواقع الاجتماعي تستوجب علينا ضرورة الوعي الجماعي، والتعاون المتكامل بين المؤسسات الحكومية، والنقابات المدنية والمهنية، والمنابر الدينية، ومنصات الإعلام الهادف، للتنبيه على خطورة القدوات الفاسدة، وأثرها السيئ، وإبراز الدور البناء للقدوات الصالحة، وحث المجتمع على التمسك بالقيم الأصيلة التي تحصنه من الانهيار والتفكك؛ لأن الحفاظ على المجتمع وأجياله واجب ديني، وضرورة أخلاقية.

٣- أن الوعي الاجتماعي هو عامل أساسي لمواجهة هذا التأثير، من خلال تمكين الأفراد من التمييز بين القدوات الصالحة، والقدوات الفاسدة، وتشجيع القيم الأخلاقية والفكرية السليمة؛ لأن ارتفاع مستوى الوعي الاجتماعي يمكن أن يحد من تأثير القدوات التافهة، ويعيد توجيه اهتمام الشباب نحو القدوات الصالحة، التي تبني المجتمع، وتغرس المبادئ الصحيحة في نفوس الأجيال القادمة.

ويتكون الوعي الاجتماعي عن طريق:

التحصيل العلمي، والتثقيف الديني، والتربية الإيمانية للمجتمع عامة، وللأجيال الصاعدة خاصة: لتحصين المجتمع من الأفكار الدخيلة، والتصرفات المشينة، وتمكين الأفراد من التمييز بين الصالح والطالح.

- بناء منظومة إعلامية هادفة، قادرة على مواكبة التطور التكنولوجي، تعمل على إبراز النماذج الصالحة، وتعزيز القيم الاجتماعية.

- تدشين برامج توعوية، وحملات إعلامية، تستهدف نشر المفاهيم والقيم الصحيحة، وتبين خطورة القيم النقيضة.
- إن الوعي الاجتماعي يخلق ضغطًا إيجابيًا يمكّن من الحد من انتشار المحتوى التافه، والنماذج السلبية، من خلال تحفيز دور المؤسسات التعليمية والثقافية والإعلامية في تقديم بدائل فكرية، وأخلاقية هادفة، كما يعزز هذا الوعي قدرة الشباب على تبني النقد البناء، والتمحيص في المعلومات والمحتويات التي يتلقونها، مما يحد من فرص الانجرار وراء القدوات غير المناسبة، وهذه من الركائز المهمة التي تعزز الوعي الاجتماعي، مما يمكنهم من تحليل المحتوى الإعلامي بشكل موضوعي، وتقييم مدى ملاءمته كقدوة تحتذى، أو نموذج يُتجنب.
- إن تعزيز الوعي الاجتماعي لا يعد خيارًا فحسب، بل ضرورة حتمية للحفاظ على سلامة النسيج الاجتماعي، وضمان تنشئة أجيال قادرة على مواجهة التحديات الفكرية والأخلاقية، التي تفرضها المتغيرات المعاصرة.

الخاتمة:

وفي ختام هذا العنوان الموسوم بـــــ "**دور القدوات التافهة بتعميق الانحراف الخلقي والفكري في المجتمع**" (دراسة وصفية تحليلية) نقوم باستعراض أهم النتائج والتوصيات على النحو التالي:

أولًا: نتائج البحث

١- التحول الرقمي السريع أدى إلى التغيير الجذري في مصادر تلقي المعلومات بين الماضي والحاضر.

٢- سهولة الاختلاط الثقافي، والاحتكاك البشري عبر وسائل الإعلام الحديثة التي تهيمن على حياة الأفراد والمجتمعات.

٣- مساهمة وسائل الإعلام ومنصات التواصل الاجتماعي بشكل كبير في انتشار القدوات السطحية التافهة بين الأجيال الصاعدة، مما أدى إلى تصاعد مظاهر الانحراف الخلقي والفكري.

٤- إضعاف القيم الأخلاقية والفكرية لدى الأجيال الصاعدة بسبب قلة الوعي.

٥- تزايد المظاهر الزائفة المناقضة للحقيقة والواقع.

ثانيًا: توصيات البحث

توصي الباحثة بعمل الآتي:

١- ضرورة تفعيل دور المؤسسات التعليمية، والمنابر الدعوية، لتوعية المجتمع من مخاطر وسائل الإعلام ومنصات التواصل الاجتماعي.

٢- بذل المزيد من الجهود لتكثيف العمل الإعلامي الهادف، ودعم معرفة وحسابات النشطاء الفاعلين أصحاب القيم والمبادئ، لتعزيز الأخلاق الفاضلة والقيم الإسلامية في المجتمع.

٣- التعاون المتكامل بين المؤسسات الحكومية والنقابات المدنية والمهنية، والمنابر الدينية، ومنصات الإعلام الهادف، للتنبيه على خطورة القدوات الفاسدة وأثرها السيئ على المجتمع عمومًا، وعلى الجيل الصاعد خصوصًا.

٤- إطلاق الرقابة الحكومية في الحسابات التي تنشر ما يناقض ثوابت المجتمع.

المصادر والمراجع:

أولاً: الآيات القرآنية.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾ [البقرة: ١٦٧].

قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣١].

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥].

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ [الأحزاب: ٦]،

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣].

قال تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ [الزخرف:٢٤].

قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة:٤].

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الممتحنة: ٦].

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

ثانياً: المصادر والمراجع العربية.

ابن دريد، محمد بن الحسن. (١٩٨٧م). **جمهرة اللغة**. ط١، دار العلم للملايين: بيروت، لبنان.

ابن سيده، علي بن إسماعيل. (١٤٢١هـ). **المحكم والمحيط الأعظم**. ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان.

ابن ماجة، محمد بن يزيد. (د. ن). **سنن ابن ماجه**، (د. ط)، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي: القاهرة، مصر.

الألباني، محمد ناصر الدين. (١٤١٥هـ). **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**. ط١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع: الرياض، السعودية.

حميد، صالح بن عبد الله. (د. ن). **القدوة مبادئ ونماذج**. الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

الحميدي، محمد بن فتوح. (١٤١٥هـ). **تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم**. ط١، مكتبة السنة: القاهرة، مصر.

الرازي، محمد بن عمر بن الحسن. (١٤٢٠هـ). **التفسير الكبير = مفاتيح الغيب**. ط٣، دار إحياء التراث العربي: بيروت، لبنان.

الراغب، الحسين بن محمد. (١٤١٢ هـ)، **المفردات في غريب القرآن**. ط١، دار القلم: دمشق، سوريا، الدار الشامية: بيروت، لبنان.

الزبيدي، محمد بن عبد الرزاق. (د. ن). **تاج العروس من جواهر القاموس**. (د. ط)، دار الهداية للطبع والنشر: القاهرة، مصر.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد. (١٤١٥هـ). **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. (د. ط)، دار الفكر للطباعة والنشر: بيروت، لبنان.

الفيومي، أحمد بن محمد. (د. ن). **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**. (د. ط)، المكتبة العلمية: بيروت، لبنان.

القرطبي، محمد بن أحمد. (١٣٨٤هـ). **الجامع لأحكام القرآن**. ط٢، دار الكتب المصرية: القاهرة، مصر.

القزويني، أحمد بن فارس. (١٣٩٩هـ). **معجم مقاييس اللغة**. (د. ط)، دار الفكر للطباعة والنشر: بيروت، لبنان.

الميداني، عبد الرحمن بن حسن. (١٤١٨هـ). **الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم**. ط١، دار القلم: دمشق، سوريا.

اليافي، مساعد، والخطيب، محب الدين. (١٣٨٧هـ).

الغارة على العالم الإسلامي. ط٢، منشورات العصر الحديث: جدة، السعودية.

ثالثاً: المراجع الأخرى.

Rasha A Waheeb (12), May, 2023, *Question*, researchgate: https://www.researchgate.ne

https://saaid.org/Doat/binbulihed/٢٥٧.htm